غزة ولادة:
4500 طفل رأوا النور خلال الحرب

غزة ـ **سناء كمال**

بينما ينهك الأطباء في محاولة إنقاذ المصابين في أقسام الطوارئ داخل مستشفيات قطاع غزة طوال أيام الحرب الإسرائيلية، يجهد آخرون في قسم الولادة لإخراج أطفال جدد إلى الحياة.

4500 مولود جديد آخر إحصائية سجلتها وزارة الصحة الفلسطينية أثناء أيام الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، في الوقت الذي كانت تحصد في حربها على المدنيين المئات من أرواح الأطفال الشهداء، وتعددت الولادات تحت نيران الاحتلال. فمن النساء من ولدن في بيوتهن، ومنهن من ولدن في طريقهن إلى المستشفى، ومنهن من ولدن على أرض المستشفى وهن ينتظرن طبيبة لتوليدهن.

هبة سالم (24 عاماً) ولدت مولودتها البكر سما في منزلها بعدما فقدت الأمل بقدرتها على التحرك والخروج من حي الشجاعية الذي كان يتعرض لأعنف عملية عسكرية، ويتم استهداف كل ما هو متحرك في هذا الحي، صرخت وبكت وطلبت النجدة، لكنها لم تجد سبيلاً سوى استدعاء «الداية»، التي تقترب من عامها الـ 95 وبالكاد تذكر مهنتها التي ورثتها عن والدتها.

وتقول والدة هبة وهي تحمل اسم سما لـ«الأخبار»: «كان يوماً عصيباً لن ينسى، ابنتي كانت ستموت بين يدي ولا أدري كيف أساعدها. الطيران كان فوقنا، والقصف يطال كل مكان ولا نستطيع التحرك»، وتتابع: «جارتنا كانت داية في الزمانات، اضطررنا إلى استدعائها بعد جهد كبير في إقناعها لتوليد ابنتي التي تموت أمام عيني، وبمئة عافية لما رضيت تولدها لأنها كانت شبه ناسية».

هي مجازفة حقيقية، لكنها أسهل الأمرين. حضرت الداية أم حسين أبو عمرة إلى بيت عائلة سالم، وقامت بتوليد هبة رغم مواجهتها صعوبات كبيرة، وتقول لـ«الأخبار»: «إنها معجزة حقيقية ولدت على صوت الصواريخ، ولما انقصف بيت جيرانهم اللي جنبهم ولدت بسرعة، مع صوت الصاروخ ولدت من الخوف»، مشيرة إلى أنها هي من سمت الفتاة سما، لأن الصاروخ الذي نزل من السماء هو من أنقذها ولكنه قتل العديد من جيرانها وأغلبهم من الأطفال.

ولم تستطع آمال الكفارنة (30 عاماً) أن تتحمل آلام المخاض، فتوسطت بين نساء غرفتها في مدرسة بيت حانون تتلوى من الألم، إلى أن ولدت طفلها صابر، من دون أي مساعدة من أحد، واضطرت إلى قطع حبل السرة للجنين بمقص اشتروه من «كنتينة المدرسة»، «هي مخاطرة حقيقية، لكن الحياة تأبى إلا أن تستمر»، تقول أم محمود الكفارنة. وكانت آمال قد ولدت ابناً لها في الحرب السابقة، وسمته صابر لصبرها على آلام الولادة أيضاً آنذاك، لكنه توفي في هذه الحرب،

> من النساء من ولدن في بيوتهن، ومنهن من ولدن في طريقهن إلى المستشفى

قبل عدة أيام، غير أن القدر يصرّ على أن يمنحها صابر مرة أخرى وفي ذات الظروف التي ولد فيه أخيه الشهيد قبل ست سنوات.

وتضيف أم محمود: «ربنا بقطع من هان وبوصل من هان. قبل يومين استشهد أخيه صابر الكفارنة في قصف إسرائيلي على منزلهم، واليوم ولد أخيه الآخر في نفس ظروف الحرب».

أما حليمة النجار من بلدة خزاعة شرقي مدينة خان يونس جنوب قطاع غزة، فهي لم تفرح على ولادتها ابنتها أسيل التي ولدت مشوهة، نظراً إلى ولادتها قبل موعدها الصحيح، وتبكي حليمة على ابنتها التي ولدت دون اكتمال أعضائها، بعدما جاءها المخاض في أواخر الشهر السادس.

وتقول حليمة: «كنت مرعوبة جداً من أصوات الصواريخ والانفجارات الشديدة، وكنت أخاف كثيراً على أطفالي الثلاثة أن ترتكب إسرائيل مجازر بحقهم، وشعرت فجأة بوجع شديد، انتهى بولادتي المبكرة لابنتي التي لا أعرف إن كانت ستتمكن من العيش أو لا».

وتضيف: «إسرائيل لم ترتكب مجزرة بحق أبنائي الأحياء، لكنها استطاعت أن تقتل طفلتي قبل ولادتها».

ويرى الفلسطينيون أن هذا الارتفاع في عدد المواليد في هذا الشهر «المنكوب» هو كرامة من الله لتعويضهم على الارتفاع في عدد الضحايا بين الأطفال الذين سقطوا شهداء، وتقول سميرة العروقي (25 عاماً) التي رافقت أختها للولادة في مستشفى الشفاء: «لم أتوقع أن أجد هذا العدد الكبير في المستشفى من المواليد، وخاصة في ظل هذه الحرب»، مضيفة: «في الخارج، أغلب الأطباء منشغلون إما في العمليات أو في معالجة الجرحى، أما هنا عالم آخر فهذه كرامة حقيقية من الله تعالى ليعوضنا عن شهدائنا».

يرى الفلسطينيون أن هذا الارتفاع هو كرامة من الله (آي بي أيه)

الفلسطيني وفقدان التخطيط، مؤكدا أن هناك نقصاً في عدد الموظفين العاملين بسبب ظروف الحرب، «إضافة إلى غياب الإرشادات المكتوبة التي تحفظ النظام والهدوء في الصالة بعد أن يتكدس فيها مئات المواطنين».

واعتمدت السلطات المصرية طريقتين للسماح لمرور الفلسطينيين في الأيام الماضية، الأولى هي تسليم الأشخاص الجوازات مسبقا، ثم أخذ الموافقة عليها أو العكس، والطريقة الثانية تقديم جوازات السفر عبر ما يعرف بالتنسيق الأمني على المعبر، فيسمح بعبور الأشخاص مقابل دفع مئات الدولارات التي يقال إنها تسلم إلى الاستخبارات المصرية.

وحتى إعداد هذا التقرير، لم تظهر صورة واضحة عن مصير معبر رفح، لكن آمال الفلسطينيين معلقة بهذه القضية التي أرهقتهم على مدار أعوام.

الحي «السعودي» دمر مجدداً

غزة ـ **ابتسام مهدي**

عاش أهل مدينة رفح ممن دمرت منازلهم عام 2006 خلال اجتياح بري إسرائيلي ثماني سنوات وهم يتنقلون من منزل إلى منزل، حتى «تكرمت» المملكة السعودية لإعادة بناء بيوتهم. وبعدما صار لهم مساكنهم الخاصة وشعروا فيها بالهدوء والاستقرار، لم يدم هذا الوضع سوى شهر واحد، إذ تعرض «الحي السعودي» في رفح لقصف دمر منازلهم للمرة الثانية. وليس هذا فحسب، بل حصد أرواح 23 فرداً من سكان الحي.

وجرى بناء هذا الحي بين حي تل السلطان وساحل البحر المتوسط، وهو يطل على الحدود الفاصلة بين قطاع غزة ومصر، ويسكنه من هدمت منازلهم في ذلك الاجتياح بعدما تسلم سكان الحي بيوتهم في أواخر شهر حزيران 2014، علماً بأن بناءه استغرق سنوات طويلة بفعل الحصار على قطاع غزة الذي فرض منذ صيف 2007.

عند الدقائق الأخيرة من منتصف ليلة الأول من آب الجاري، استفاق سكان «السعودي» على انفجار ضخم هز أركانه ليخرج جميع من فيه بعدما صارت عائلة المواطن رأفت زعرب (35 عاماً) هدفاً لطائرات الاحتلال ببرميل متفجر تسبب بانهيار المنزل على ساكنيه، إلى جانب قصف خمسة منازل أخرى مجاورة له.

الحصيلة كانت قاسية، فمن عائلة زعرب فقط كان هناك 13 شهيداً وأربعة آخرون من عائلة صيام كانوا لاجئين في منزل العائلة نفسها، فيما الشهداء الآخرون من الجيران. وبعد وقوع المجزرة، استمرت طواقم الدفاع المدني على مدار أكثر من عشر ساعات في البحث تحت الركام لينتشلوا جثامين الشهداء وهي أشلاء متفحمة، وجلهم من الأطفال والنساء.

المواطن محمد البسيوني (43 عاماً) كان أحد المشاركين في انتشال الجثامين، وهو من سكان الحي أيضاً. يقول البسيوني: «ثلاث أسر من عائلة زعرب دمرت منازلها للمرة الثانية، بالإضافة إلى تضرر منازل أخرى». ويظهر أساه لأنهم لم يتمتعوا بعد بمنازلهم قبل أن يعاود الاحتلال استهدافهم، مشيراً إلى أنهم عانوا كثيرا خلال السنوات التسع التي مضت، «لكن يبدو أن الاحتلال لا يقبل بأن نشعر بالأمن نهائياً في مدينتنا».

«الأخبار» استطاعت أن تتحدث مع ناجيتين من عائلة زعرب هما الطفلة سجى (9 سنوات) وشيماء (18 عاماً). الحروق غطت جسديهما وجعلتهما عاجزتين عن الحركة. ولا تزال الفتاتان في المستشفى الكويتي في رفح تتلقيان العلاج، كما لم تعلم

> لم يسكن أهل الحي سوى شهر في بيوتهم التي سلمت لهم بعد 8 سنوات

سجى بمصير من كانوا بجوارها. بكلمات خجولة، وصفت الطفلة ما حدث لهم وهي تشعر بفقدان أمها وإخوتها، قائلة: «كنا قاعدين بالغرفة إحنا واولاد عمي وبدنا ننام، وفجأة سمعنا صوت انفجار كبير بعدها ما عرفت شو صار معي».

بريق ضوء كبير كان الفيصل بين سجى وشيماء والعائلة التي راحت ضحية هذه المجزرة، قائلة: «لمحت ضوء الصاروخ كالبرق، ولما صحيت لقيت حالي بالإسعاف».

أما شيماء، فبمجرد أن استيقظت بدأت بالسؤال عن عائلتها وخاصة والدها ووالدتها. تقول خالتها أم محمد: «عائلة عمتها وخالتها (العائلة النازحة) هربوا من منازلهم خوفاً على حياتهم، لكنهم استشهدوا في المكان الذي هربوا إليه».

تمسك شيماء بيد أختها الصغيرة سجى لتطمئنها إلى أن عائلتهما بخير، وكل ما حدث أن المنزل الذي حلموا به كثيراً انهار وباقي العائلة في مستشفى آخر. لكن سجى ظلت تكرر السؤال: «وين أهلي، بدي أمي، إيش صار لأخواني». وكل من جاء لمواساتهما لم يستطيعوا أن يجيبوها خوفاً مما قد يلحق بها، فلا شيء يمكن أن يقال في جريمة ترك زهرتين كسجى وشيماء وسط صحراء مليئة بالهموم.